موقع الأديب
★ علي أحمد باكثير ★
www.bakatheer.com

المشهد السابع

في بيت الشيخ صفرونيوس بطريق بيت المقدس وعنده أحد القسس .

القس : (ينظر من الشباك) هـذا الاطربون يا سيدي البِطْريق قد أقبل ومعَه رجاله .

صفرونيوس: لا تَخَفْ يا ميخائيل .. قد نَبَّهْتُ الحرسَ على البـاب ألا يسمَحُوا بالدخـول إلا للأطربون وحدَه .

(تسمع جلبة وضوضاء من الخارج)

القس : هذا عِراكٌ بين الحرسِ وبين رجالِ الاطربون .

صفرونيوس: لا تَخَفْ .. إن اللهَ معنا والشعْبَ معنا .

(تهدأ الجلبة ثم يدخل الأطربون)

الأطربون : أهكذا تُعامِلُني يا سيدي البطريق ؟

صفرونيوس: (ينهض مجيبـاً) مرحبـاً بِكَ يا سيدي الأطربون .. هدِّئْ غضبَك اجلس ..

الأطربون : أدْعُوك إلى دارِ الحُكْم فترفُض الحضُورَ بغَيْرِ عُذر ؟

صفرونيوس: أنا شيـخٌ في السبعين وأنت في عُنفُوَان شبابك فماذَا عليك إذا سَعَيْتَ إليّ ؟

الأطربون : لكنّ دارَ الحُكْم هناك .

صفرونيوس: دارُ الحُكْم أصبحتْ هنـا في هـذا المكان .. ألا تسْمَع ؟

أصوات : (تهتف من الخـارج) نحـن معـك يا صفرونيوس .. لا نَعْتَرفُ بغـير صفرونيوس .. اخـرج من إيليـاء يا أطربون . اخرجوا من مدينتنا أيها الروم .

الأطربون : أنت الذي أوْعَزْت إلى هؤلاء الغوغاء .

صفرونيوس: فأوعِزْ أنت إليهم بما تشاء إن استطعت .

الأطربون : وقد أهَنْتَني إذ منعت رجالي من الدخول معي.

صفرونيوس: إن كنت تريد أن تَتَباحثَ معي فماذا يصنعُ عندنا جنودُك ؟ إني أحب الهدوء فلنتباحثْ في هدوء .. اجلس ..

الأطربون : أحقاً تريد تسليمَ المدينة إلى هؤلاء المسلمين بغير قتال ؟

صفرونيوس: نعم فقد تعِبَ الناسُ من الحصار .

الأطربون : أنت لا تملكُ هذا الحقَّ .. أنت بطريق ولستَ بحاكم .. أنا الحاكم .

صفرونيوس: أنت تحكمُ حيثُ يتكلمُ السيفُ ، وأنا أحكمُ حيث يتكلمُ السلامُ .

الأطربون : من الذي خوّلَك ذلك ؟

صفرونيوس: الشعب .

الأطربون : والقيصر هِرَقْل أليس له سلطان عليك؟

صفرونيوس: القيصر لم يَعُدْ له سلطان على إيلياء ولا على غيرها وليس ذلك ذنبي . ألا ترى أن أغلبَ المُدُن قد سَلّمت لهؤلاء المسلمين واتّفقت معهم ؟

الأطربون : ولكن إيلياء مدينةٌ مقدسة .

صفرونيوس: مقدسة عندنا وعندهم على السواء ، فأحرَى أن يعامِلوا أهلها معاملة أكرم .

الأطربون : ألا تعلمُ أن اليهود فَرِحُون بدخول المسلمين ؟

صفرونيوس: لا حُبًّا للمسلمين بل تشفِّياً من هرقل إذ اضطهدَهُم وقتل منهم ونفَى .. ثم ماشأنُنَا باليهود ؟ علينا أن ننظرَ إلى مصلحتنا ومصلحة أهل المدينة ..

الأطربون : سيعود اليهودُ إلى المدينة بعدما طَهُرَت من رجسهم .

صفرونيوس: كلا .. سنشترط على المسلمين أن لا يُسْمَحَ بدخولها لليهود.

الأطربون : المسلمون لن يقبلوا هذا الشرط.

صفرونيوس: عجباً لك يا أطربون.. أتجادلُني في الصلح اليوم بعدما حضر أميرهم عُمر من عاصمته وعسْكَر من دوننا جنودُه؟ ويلك ألَسْتَ أنت الذي اقترحَ على عمرو أن يستقدِمَ عمرَ ليمضيَ الصلح بنفسه؟

الأطربون : إنما أردت بذلك أن أكسبَ الوقت ريثما يأتينا المدد من قيسارية.

صفرونيوس: فهاهي ذي قد حُوصرت فلا يأتينا منها شيء.

الأطربون : إن بها قسطنطين يدافع ويحشدُ الجيوشَ والمؤنَ والذخائرَ.

صفرونيوس: إن هرقل نفسه قد انتهى فماذا يستطيعُ ابنُه أن يفعل؟

الأطربون : كلا ما انتهى هرقل.

صفرونيوس: بل انتهى .. استشْعَر غضبَ الله عليه إذْ تزوج ابنة أخته، فأراد أن يُكفّر عن ذنبه ويتقربَ إلى الله بجمع المسيحيين على مذهب واحد، فزاد الطينَ بَلَّةً وأثار الأحقادَ والأضْغانَ.

الأطربون : اليوم تُعلن عداوتك للمذهب الموحَّد .. فهلا أعلنْتَه من قبل أمام قيصر؟

صفرونيوس: إنه يعلَمُ أني غيرُ موافق على مذهبه الجديد، وإنّما وَلّاني بطْريقاً لإيلياء ليستَميلَني إليه كما فعلَ مع قيرس وأثناسْيوس. ولكني لستُ مثلَ قِيرسَ أو اثناسيوس. إني لا أتركُ مَذْهبي الذي أعتقدُ أنه هو الحقُّ من أجل ملِكٍ أو امبراطور.

الأطربون : ستَتْركهُ غداً من أجل هذا الملك العربي وجنودِه.

صفرونيوس: كلا إنهم لا يَتَعَرَّضون لدين أحد ولا

لمذهبه ، ولو فعلوا لما استطاعوا أن يغْزُوا قلوب أهل الشام من انطاكية إلى .. إلى غزة ..

الأطربون : لقد صبرنا لهم مدة طويلة ولا يزال عندنا المؤن والذخائر فلِمَ نَعْجَل بالتسليم ؟

صفرونيوس: المؤن والذخائر يوشك أن تنفد ، والشعبُ يريد الصلْحَ ويُلِحُّ في طلبه ، ولا سيما لمّا سمعوا بمجيء بطلِهِم خالد الذي لا تصده القلاعُ ولا تمنعه الحصُون .

الأطربون : قد كان في وسعك يا صاحب اللسان المعسول أن تُقنِعَهم بالصبر والمقاومة .. إذن لرأوا أن خالداً هذا لن يقدر على مدينتهم المنيعة الحصينة ، ولن يكون نصيبُه خيراً من نصيب الداهية عمرو .

صفرونيوس: لقد انتشر بين أهل المدينة أن خالداً استأذن عمر في فتحها عُنوة ، فمنعه وقال

له : إن الله لا يرضى لنا أن نستبيحَ بيت المقدس ، ما كان من ذلك بد ، فماذا يصنع لساني المعسُول في إقناعهم ؟ اخرج أنت إليهم فاقنعهم إن استطعت .

الأطربون : إنهم لا يستمعون إلّا إلى نصحك .

صفرونيوس: فاستمع أنت أيضاً إلى نصحي . إني لا أريد أن تقع في أيديهم فلن يغفرُوا لك نِكايَتِكَ بهم ، وعداوتك لهم ، فالحَقْ وانْجُ بنفسك وجنودك .

الأطربون : وهؤلاء الروم المقيمون بالمدينة ؟

صفرونيوس: لا تخف فسنشترط أن يكون لهم الخِيارُ في الرحيل والمُقام .

الأطربون : هل لك إذن يا سيدي البطريق أن تُعينني على هَربي ؟

صفرونيوس: نعم اقْترح ما تشاء فإني حريصٌ على سلامتك .

الأطربون : أشِعْ في الناس غداً أني قد هربْتُ إلى مصر، وسأختبىء أنا وأبقى مختبئـاً حتى يتم الصلح فأخرج متنكراً مع الخارجين .

صفرونيوس: هذه خطةٌ حسنة .

الأطربون : ولكني سوف أثيرُها عليهم حرباً شعواءَ من مصر !

صفرونيوس: افعل يا سيدي الأطربون .. هذا واجبُك..

المشهد الثامن

خيمة عمرو بن العاص بمعسكر المسلمين في ظاهر بيت المقدس .

يُرى صفرونيوس على رأس وفد إيلياء وهم جلوس بين يدي عمر وعنده أبو عبيدة وعبد الرحمن بن عوف وعمرو وخالد ويزيد بن أبي سفيان ومعاوية وكعب الأحبار .

عمر : مـا لي أراك عابساً أيها الشيخُ الجليلُ ؟ ألم يوافق أهلُ المدينة على الشروط ؟

صفرونيوس: يا أمير المؤمنين إن شئت أن يتم الاتفاقُ بيننا فأَخْرِج من اجتماعنا هذا اليهودي .

عمر : ويحك هذا ليس بيهودي . هـذا قد أسلم فهو منا .

الأطربون : أَشِعْ في الناس غداً أني قد هربْتُ إلى مصر،
وسأختبىء أنا وأبقى مختبئـاً حتى يتم الصلح
فأخرج متنكراً مع الخارجين .

صفرونيوس: هذه خطةٌ حسنة .

الأطربون : ولكني سوف أثيرُها عليهم حرباً شعواءَ
من مصر !

صفرونيوس: افعل يا سيدي الأطربون .. هذا واجبُك..

المشهد الثامن

خيمة عمرو بن العاص بمعسكر المسلمين
في ظاهر بيت المقدس .

يُرى صفرونيوس على رأس وفد إيلياء وهم
جلوس بين يدي عمر وعنده أبو عبيدة وعبد
الرحمن بن عوف وعمرو وخالد ويزيد بن أبي
سفيان ومعاوية وكعب الأحبار .

عمر : مـا لي أراك عابساً أيها الشيخُ الجليلُ ؟ ألم
يوافق أهلُ المدينة على الشروط ؟

صفرونيوس: يا أمير المؤمنين إن شئت أن يتم الاتفـاقُ
بيننا فأَخْرِج من اجتماعنا هذا اليهودي .

عمر : ويحك هذا ليس بيهودي . هـذا قد أسلم
فهو منا .

صفرونيوس: أليس كان يهوديا ؟

كعب : كنت يهودياً ولكني قد أسلمتُ وصرتُ من المسلمين .

صفرونيوس: اليهودي لا يخرج عن مسلاخه أبداً وإن بدّل دينَهُ سبعينَ مرة .

كعب : يا أمير المؤمنين إنما أرادوا أن يُبْعدوني لأني أعرفُ ما يُضْمرونه من كيد للمسلمين .

صفرونيوس: كلا بل لأنك تكيدُ لنا وللمسلمين من أجل أصحابك اليهود .

كعب : يا أمير المؤمنين أجِرْني من هذا الذي يتهمني ظلماً في ديني .

صفرونيوس: ألم تتّصل بأصحابك اليهود في هذه البلاد ؟

كعب : هم الذين اتصلوا بي لأرفعَ مظالِمَهم إلى أمير المؤمنين وقد فعلتُ .

صفرونيوس: ها هوذا يا أمير المؤمنن قد أقرَّ على نفسه.

عمر : يا كعب إن شئت أن تبقى نظيفاً غيرَ متهم فاقطع صِلَتَك باليهود فلا شأنَ لك بهم .

كعب : يا أمير المؤمنين إنهم مظلومون في هذه البلاد . وينبغي أن تعْدِلَ بينهم وبين النصارى فهم جميعاً من أهل الكتاب ، لا فرق بينهم إلا أن هؤلاء يقولون اللهُ واحد، وهؤلاء يقولون الله ثالثُ ثلاثة .

عمر : ويلك يا كعب .. إن الله تبارك وتعالى قد أدّبنا خيراً من ذلك إذ قال ولا تُجَادِلُوا أهل الكتابِ إلّا بالتي هي أحسنُ .

(يسكت كعبٌ وينظر عمر إلى أصحابه كأنه يستشيرهم)

ابن عوف : ليس من حق هؤلاء يا أمير المؤمنين أن يقولوا نُريدُ فلاناً أو لا نريد فلاناً من أصحابك ، فإنا لم نقُلْ لهم هاتوا فلاناً ولا تأتوا بفلان .

خالد : أجل يا أمير المؤمنين ما شأنهم بكعب إن كان مسلماً أو يهودياً . هذا من التعنت . إن كانوا لا يريدون المصالحة فخل بيني وبينهم فسأكفيكَ أمرهم بإذن الله .

صفرونيوس: يا أمير المؤمنين إنا جئنا لنفاوضك ونفاوض المسلمين لا لنفاوض اليهود .

عمرو : ونحن كذلك يا أمير المؤمنين إنما نفاوضُ أهل إيلياء وهم نصارى فما ضرَّكَ لو أجبتَهم إلى ما يطلبون وإنه لهين .

كعب : إخراجي من المسلمين هيّن يا ابن العاص ؟

عمرو : بل خروجكَ من الاجتماع يا كعب فهو ما يطلبون .

أبو عبيدة : هذا هو الرأي يا أمير المؤمنين فإنْ يعلمْ الله أن كعباً صادق في إسلامه فلا يضره ذلك .

عمر : صدقت .. اخرج يا كعب الساعة فإذا

احتجنا إليك دعوناكَ .

كعب : يا أمير المؤمنين كيف نرضى الدنيّةَ في ديننا؟

عمرو : (ينهره) دع عنك هذا ويلك .. اخرج !

(يخرج كعب) .

عمرو : الآن وقد أجابكم أميرُ المؤمنين إلى ما طلبتم فعجِّلوا بالموافقة قبل أن يكِلَ أمركُم إلى خالد فَلَيَفْتَحَنَّها عليكم عُنوة .

صفرونيوس: إننا قبلنا الشروط جميعاً إلّا أن يؤذَن لليهود بدخول المدينة فهذا ما لانقبله بحال.

عمر : لكن بها مآثرَ الأنبياء والرسلِ وهي تراثٌ للمؤمنين على اختلاف أديانهم فكيف نمنعُ عنها اليهود ؟

صفرونيوس: إن هرقل قد أجْلاهُم من المدينة وألزمهم أن يبتعدوا عن أسوارها ثلاثةَ أميال ، ونحن لا نرضى بغير ذلك .

خالد : هرقل لم يعُدْ له في إيلياء حكم ولا أمر .

صفرونيوس: لكن شعبَ إيلياء هم الذين طلبوا من هرقل ذلك لما ارتكبه اليهود أثناء احتلال الفُرس من تنكيلٍ بالنصارى وتدمير لكنائسهم .

عمرو : إنما ارتكبوا ما ارتكبوه إذ كان الفُرسُ يُمالِئُونَهم عليكم ، أما نحن فاطمئنوا فلن يقعَ مثلُ ذلك أبداً .

صفرونيوس: إنكم لا تعلمون ما يستطيع هؤلاء الأبالسةُ أن يقوموا به من الدَّسِّ والوقيعة بيننا وبينكم حتى يُوغِروا صدوركم علينا أو يوغروا صدُورَنا عليكم . ألا ترون أن أحدَهم قد طلع لنا من بين أظْهُرِكم زاعماً أنه مسلم وهو يهودي عريق !

كعب : (يتطلع من باب الخيمة) يا أمير المؤمنين أحْمِني من لسان هذا النَّصراني المتعصب .

صفرونيوس: إنه بَقِيَ معنا ولم يخرج .

عمر : ويلك يا كعب .. اذهب ذهب الله بك .. نَحُّوه عن الباب

(يجذبونه فيخرج)

صفرونيوس: أرأَيْتَ يا أمير المؤمنين؟ كيف نأمنُ هؤُلاء إذا أقاموا بيننا في المدينة؟

عمر : إذن فسنمضِي لكم أن لا يُساكِنَكُم أحد من اليهود في المدينة . على ألا يُمْنَعوا من الزيارة والحج .

صفرونيوس: لقد كانوا ممنوعين أن يطَأُوا ترابها في عهد هرقل.

عمر : دعْني من عهد هرقل .. إنكم لا تريدون أن يساكنكم اليهود ليس من أجْل أنهم من أتباع موسى عليه السلام ، ولكن لغدرهم وجشَعِهِم وقسوتهم وكبريائهم على من سِواهم . ونحن قد أخرجناهم من مدينتنا كذلك ليس من أجل أنهم يهودُ

بل لما غدروا ونقضوا العهدَ ومالأُوا العدو .

صفرونيوس: إنك لتعرفهم جيداً يا أمير المؤمنين .. إنهم هكذا منذ كانوا، ولقد كانوا يحرِّضون هرقل عليكم من قبل ليقضيَ على دينكم قبل أن يَعظُم أمره . فلما رَأَوْا أنكم منتصرون اليوم طفِقُوا يتوددون إليكم ليُغْرُوكم بنا ولتنتقموا لهم منا .

عمر : ننتقم لهم منكم ؟ هذا والله لا يكونُ أبداً قال تعالى : لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ الناسِ عَدَاوَةً للذينَ آمنُوا اليهودَ والذين أشركوا ، ولَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَوَدَّةً للذينَ آمنُوا الذين قالوا إنا نَصارى ذلك بأن منهم قسيسين ورُهباناً وأنهم لا يَسْتَكْبِرون .

صفرونيوس: أهذا في كتابكم ؟

عمر : نعم .

صفرونيوس: فما بالُكم تدافعون عنهم وهم أشدُّ الناس

لكم عداوة ؟

عمر : إن ديننا يأمُرُنا بالعدل والإحسان ، ومن العدل والإحسان أَلَّا يُضَارَّ مُؤَمَّنٌ في دينه ، ولا يُمنَعَ من أداء شعائره . وبإيلياء مآثر الرسل والأنبياء ونحن نؤمن بهم جميعاً ولا نُفرِّقُ بين أحد منهم ، والله هو الهادي وإليه مصير العباد . قال تعالى : وقالت اليهودُ ليست النصارَى على شيءٍ وقالت النصارَى ليست اليهود على شيء وهم يَتْلُونَ الكتابَ . كذلك قال الذين لا يعلمونَ مثلَ قولِهِمْ فاللهُ يَحْكُمُ بينَهُم يوم القيامةِ فيما كانوا يختَلِفون .

صفرونيوس: فنحن كذلك نؤمن بالرسل جميعاً ولا نفرق بينهم ولكن اليهود هم الذين يُفرقونَ يا أمير المؤمنين . إنهم يَكْفرُون بالسيد المسيح ويقولون في أُمِّه الأقاويل .

عمر : قاتلهم الله أنَّى يُؤفكون . « بسم الله الرحمن

الرحيم إذ قالت الملائكةُ يا مريمُ إن الله يُبَشِّرُكِ بكلمةٍ منه اسمُه المسيحُ عيسى بن مريمَ وجيهاً في الدنيا والآخرة ومن المقرَّبين. ويُكلِّم الناسَ في المهدِ وكهلاً ومن الصالحين. قالت ربِّ أنَّى يكونُ لي ولدٌ ولم يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قال كذلِكَ اللهُ يخلق ما يشاءُ إذا قَضَى أمراً فإنما يقولُ له كُنْ فيكون ».

صفرونيوس: أهذا في كتابكم يا أمير المؤمنين؟

عمر : نعم .

صفرونيوس: قد قبلنا إذاً يا أمير المؤمنين ..

عمر : اقرأ يا معاويةُ كتابَ الصلح.

معاوية : (يقرأ) بسم الله الرحمن الرحيم .. هذا ما أعْطَى عبد الله عمر أمير المؤمنين أهلَ إيلياء من الأمان . أعطاهم أماناً لأنفسهم وأموالهم وكنائسهم وصلبانهم وسقيمِها وبريئِها وسائرِ ملتها أنه لا تُسكن كنائسهم ، ولا تُهدَّمُ ولا يُنتقص منها ، ولا من حِيزها ،

ولا من صليبِهم، ولا من شيء من أموالهم، ولا يُكْرَهون على دينهم ولا يُضارَّ أحد منهم .

عمر : على رِسْلِك .. أضف هنا في هذا الموضع .. ولا يسكن بإيلياء معهم أحد من اليهود .

معاوية : (يكتب) ولا يسكن بإيلياء معهم أحد من اليهود .

صفرونيوس: خذ يا أمير المؤمنين هذه مقاليدُ بيت المقدس.

المشهد التاسع

بيت البطريق صفرونيوس على جبل الزيتون.
حجرة تطل على مدخل كنيسة القيامة.

تظهر مارية أخت البطريق وابنتُها الشابة بربارة وأختُها الراهبة مارتا واقفات يتطلعن من شبابيك الحجرة.

مارتا : هذه جموعٌ كبيرةٌ جاءت لتشهدَ الموكِبَ .. من الذي أخبر هؤلاء الناس ؟

مارية : قد انتشرَ الخبرُ في الناس منذ أمسِ .. كل يشتهي أن يرى ملكَ العرب ، حتى النساء ... والأطفال.

بربارة : من حسن حظنا أننا في بيت يُطِلُّ على

مدخلِ الكنيسة..

(يدخل انطوان)

هلُمَّ يا أبي .. تعالَ قِفْ إلى جانبي.

انطوان : ألم يأتِ الموكبُ بَعْدُ ؟

بربارة : أرى الناس تتدافعُ يا أبي فلعلَّ الموكبَ قد أقبل.

انطوان : دون طبلٍ ولا زمرٍ ؟

بربارة : أخبَرَني خالي البطريق أن أهل المدينة أرادوا أن يُلبسوا هذا الملك العربي القلنسوة فمنعهم.

انطوان : من الذي منعهم ؟

بربارة : خالي ..

انطوان : ألا يخشَى خالُكِ أن يغضب منه ملك العرب إذا بلغه أنه منع الناس من الاحتفال به ؟

بربارة : إنما منعهم نزولاً على رغبة ملك العرب.

انطوان : عجيبٌ !.

بربارة : أعْجَبُ من ذلك يا أبي أنه يرتدي فيما يحكي خالي ثياباً مرقَّعة ..

(تهتف) انظروا .. انظروا .. ها هو ذا الموكب قد ظهر !

انطوان : هؤلاء المشاةُ .. لعلهم يتقدمون الموكب.

بربارة : بل هوذا الموكب . ألا ترى خالي البطريق يلمع رداؤه الأصفرُ تحت الشمس ؟

مارية : أجل ذلك أخي صفرونيوس.

انطوان : وأين الملك؟

بربارة : لا ريب أنه ذلك العملاقُ الذي يسيرُ عن يمينه .

مارية : إنهم متوجهونَ نحو كنيسة القيامة .. أتراه يدخلها ؟

بربارة : لا ريب أنه سيدخلُها .. إنه طلب من خالي أن يُزيرَه المآثرَ.

مارتا : (تُصلِّب) عساهُ يدخلها فيؤمنُ بالمسيح يا رب !!

بربارة : إنه يؤمن يا خالتي بالمسيح .. هؤلاء المسلمون يؤمنون جميعاً بالسيد المسيح.

مارتا : ولكنهم يُنكِرُون ألوهيَّته ..

مارية : انظروا .. دخـــل الكنيسة خلف أخي البطريق ..

مارتا : أنت قادر على هِدَايته يا رب ..

انطوان : أراك تحبينَه كثيراً يا مارتا ..

مارتا : كيف لا وقد أنقذ كنيستَنا من بدعة هرقل؟

مارية : ترى ماذا يصْنع الآن داخل الكنيسة ؟

انطوان : ماذا يصنع ؟ يتأمل في التحف والايقونات ..

مارتا : لا تخف على أخينا البطريق .. إنه لبقٌ ..

انطوان : ماذا تعنين يا مارتا ؟

مارتا : لن يتركَه حتى يصلي معه للمسيح ..

انطوان : أحسب يا مارتا أن أخاك البطريق لأَلْبقُ من ذلك ..

بربارة : صدقتَ يا أبي .. لا بـد أنه يريه التحف والأيْقُونات ..

مارتا : وأين هي التحفُ والايقونات ؟ قد سحبهـا قيصر إلى القسطنطينية ولم يبقَ منهـا إلا قليلٌ .. آهِ لو بقيَ الصليب الأعظم حيث كان .. إذن لربما ..

انطوان : لربما ماذا ؟

مارتا : لربما نالت بركتُه هذا الملك العربي فآمن !.

انطوان : يا عزيزتي الأخت .. ما شأنُك به ؟ الرجل تركَنَا في ديننا فاتركيه في دينِه !

مارتا : وهل أكرهْتُه أنا على شيء ؟ إنما أدعو الله له بالهداية .

بربارة : انظروا ها هو ذا قد خرج !

مارية : يا له من عملاق !.

انطوان : في وجهه أَمارات الحزْن والإخْبات ..

مارتا : ألم أقل لك؟

بربارة : وقف يتحدث مع خالي .

مارية : تُرى ماذا يقول أَحدُهما للآخر ؟

بربارة : إنه يضرب على كتف خالي كأنه يشكرُه .. خالي يركع أمامه ..

مارية : والعملاق يُنهضُه !.

مارتا : عجباً ما معنى هذا ؟

بربارة : انظروا . انهم أحضروا له جوادَه ..

مارية : أهذا جوادُه؟ ليس عليه غير سرج بسيط ..

انطوان : لكنه جواد أصيل ..

مارية : يا إلهي !.

بربارة : وثَب على الجواد بيد واحدة !.

مارية : ودون ركاب !.

انطوان : وركب أصحابه خيولهم .. عجباً أين كانت

هذه الخيول ؟ لقد جاءوا ماشين .

(يسمع وقع حوافر الخيل منطلقة)

بربارة : كانت معهم يا أبي فترجّلوا منها تعظيماً للأماكن المقدمة .

انطوان : والله ما سمعتُ ولا رأيت أعجبَ مما رأيت اليوم ..

مارتا : وتستكثرون بعدُ عليه وعلى أصحابه أن يؤمنوا ؟

بربارة : قلت لك يا خالتي أنهم مؤمنون بالسيد المسيح .

مارتا : نريد منهم يا بنيتي أن يؤمنوا به كما نؤمن نحن به .

انطوان : ولمَ هذا التعصب يا مارتا ؟. أما كفى ما أصابَنا من هرقل ؟

بربارة : هذا خالي قادماً إلينا .. لَنَسْأَلَنَّهُ عن كل شيء ..

(تخرج لتستقبله)

مارتا : هذه أول مرة تقع عيني فيها على هؤلاء الناس ..

انطوان : فكيف رأيت ؟

مارتا : ازدادَ إيماني لما رأيتهم ..

انطوان : كيف أيّتها الأخت ؟

مارتا : ما كان هؤلاء ليَغْلِبوا جنود الروم المُدَجَّجين بالسلاح ، الساترين أجسامَهم بالدروع وزرد الحديد ، لولا سخْط الله علينا لِما اقترفناهُ من ذنوب وآثام .

انطوان : من الذي اقترفَ ؟ نحن أم الروم ؟

مارتا : نحن النصارى جميعاً باختلافنا في المسيح وعداوةِ بعضنا لبعض .

انطوان : هذا قد وقع من زمن بعيد ..

مارتا : إن الله يمهلُ يا أخي ولكنه لا يهمل .

(يدخل صفرونيوس ومعه بربارة ممسكة بيده وهو يفيض عليها حناناً)

صفرونيوس: لا يا بنتي ما زُرنا جميع المآثر بعد.. سأوافيه غداً لنزورَ كنيسةَ المهـــد في بيت لحم..

(يحيط به الجميع)

مارية : وأين ذهب الآن يا أخي ؟

صفرونيوس: رجع إلى معسكره..

مارية : كيف تركتموه دون أن تُقيموا له وليمةَ غداء ؟.

صفرونيوس: بل دعوتُه يا مارية ودعاه غيرُ واحـــد من الكبراء الذين استقبلوه ولكنه اعتذر لأنـه صائمٌ ؟

الجميع : صائم ؟

صفرونيوس: أجل لم يشأ أن يدخـــل بيتَ المقدس إلا وهو صائم.

انطوان : مـا أعجبَ أمرَهُ !. لكأنـه أسطورة من

صفرونيوس: صدقت إنه لكذلك.. كل يوم يتكشف لي عن فضل جديد.. لقد كنت أظن أنـه هو الرِّجسُ الآتي من القَفْر الذي ذكره النبي دانيـال، ولكني اقتنعت اليوم أنني كنت مخطئاً فيما ظننت.

مارتا : كيف يا أخي ؟. هل أعربَ لك عن استعداده للايمان ؟

صفرونيوس: هذا رجل كله إيمان يا مارتا من قمة رأسه إلى أخْمص قدميه.. إنه ليذكّرني بذلك الطراز القويّ من أنبياء العهد القديم..

مارية : ماذا صنع يا أخي داخل الكنيسة ؟

صفرونيوس: ما صنع شيئاً.. ما زاد على أن تَمْتَم بكلام لم أسمعه لعله من القرآن المُنَزَّل على نبيهم فإنه يحفظه عن ظهر قلب..

انطوان : ألم تَبْهرْه الكنيسة بجمالها ورونقها وما فيها

من صور القديسين والقديسات ؟

صفرونيوس: لا .. ما ظهر لي شيء من ذلك .. كان كأنه غائب عما حوله من الصور والايقونات .. ولكنه انتبه واهتم لما وقفت به على المكان الذي قُبر فيه السيد المسيح ثم رُفع منه إلى السماء ، فأخذ ينظر إليه في خشوع وإجلال .

مارتا : ألم يُقبِّل القبر أو يتمسحْ به ؟

صفرونيوس: لا .. ما تحرك من مكانه ولكني لمحتُ في وجهه لمعةً من نور الإيمان والطمأنينة ، وتمتم بكلمات لم أسمعها ..

بربارة : (كالمأخوذة بحديث خالها) ثم ماذا يا خالي ؟

صفرونيوس: ثم لم يَلْبَثْ أن ذكّره أحد رفاقه بحضور وقت الصلاة عندهم ، فأخذ يسوّي رداءه ، وتوجه مع رفاقه إلى ركن في الكنيسة ليصلي بهم ، ولكنه عدل عن ذلك فجأة ، وأسرع بالخروج من الكنيسة ، وهَرْولتُ خلفه فقلت له : ما

منعك من الصلاة في بيت من بيوت الله ؟

بربارة : عندما رأيناك تتحدث معه على عتبة باب الكنيسة ؟

صفرونيوس: نعم .. أتدرون ماذا أجاب ؟

الجميع : ماذا أجاب ؟

صفرونيوس: أيها الشيخ الحَبْر الجليل ، أخشى أن يجيء المسلمون بعدي فيصلوا فيها مثلي ، ويقولوا هنا صلى عمرُ فيأخذوها منكم ويتخذوها مسجداً لهم .

الجميع : (مدهوشين) يا للشعور النبيل ! يا للملك الحكيم !. يا للعدل !.

صفرونيوس: فلم أملك حينئذ أن ركعتُ أمامه عِرفاناً وشكراً فانهضني بقوة .. وفي وجهه شيء من الغضب وهو يقول : هذا لا ينبغي لغير الله . قلت له إننا نركع لملوكنا أتدرون ماذا قال ؟

من صور القديسين والقديسات ؟

صفرونيوس: لا .. ما ظهر لي شيء من ذلك .. كان كأنه غائب عمـا حوله من الصور والايقونات .. ولكنه انتبه واهتم لما وقفت به على المكان الذي قُبر فيه السيد المسيح ثم رُفع منه إلى السماء ، فأخذ ينظر إليه في خشوع وإجلال .

مارتا : ألم يُقبِّل القبر أو يتمسحْ به ؟

صفرونيوس: لا .. ما تحرك من مكانـه ولكني لمحتُ في وجهه لمعةً من نور الإيمان والطمأنينة ، وتمتم بكلمات لم أسمعها ..

بربارة : (كالمأخوذة بحديث خالها) ثم مـاذا يا خالي ؟

صفرونيوس: ثم لم يَلْبَثْ أن ذكّره أحد رفاقه بحضور وقت الصلاة عندهم ، فأخذ يسوّي رداءه ، وتوجه مع رفاقه إلى ركن في الكنيسة ليصلي بهم ، ولكنه عدل عن ذلك فجأة ، وأسرع بالخروج من الكنيسة ، وهَرْولتُ خلفه فقلت له : ما

منعك من الصلاة في بيت من بيوت الله ؟

بربارة : عندما رأيناك تتحدث معه على عتبة بـاب الكنيسة ؟

صفرونيوس: نعم .. أتدرون ماذا أجاب ؟

الجميع : ماذا أجاب ؟

صفرونيوس: أيها الشيخ الحَبْر الجليل ، أخشى أن يجيء المسلمون بعدي فيصلوا فيها مثلي ، ويقولوا هنا صلى عمرُ فيأخذوها منكم ويتخذوهـا مسجداً لهم .

الجميع : (مدهوشين) يا للشعور النبيـل ! يا للملك الحكيم !. يا للعدل !.

صفرونيوس: فلم أملك حينئذ أن ركعتُ أمامه عِرفانـاً وشكراً فانهضني بقوة .. وفي وجهـه شيء من الغضب وهو يقول : هـذا لا ينبغي لغير الله . قلت له إننـا نركع لملوكنا أتدرون ماذا قال ؟

الجميع : ماذا قال؟

صفرونيوس: أيها الحبر الجليل ما أنا بكسرى ولا قيصر..
أنا عبد من عباد الله (يفغرون أفواههم عجباً)
هل تذكرين يا مارتا يوم جاء الامبراطور
هرقل ليحُج وليعليَ الصليب الأعظم كيف
دخل من الباب الذهبي في ردائه الارجوانيّ
يبرق بالذهب والجوهر ؟

مارتا : نعم وكان في استقباله البطريق زكريا رحمه
الله ، فأخذ يعنفه على فخامة ملبسه ، وأمره
أن يخلع رداءه الأرجواني حتى يدخل
الأماكن المقدسة بما يليق بها من الخشوع
والإجلال .

صفرونيوس: فانظري شتّان ما هذا وذاك .. ذاك احتاج
إلى تنبيه البطريق زكريا ليخلعَ ما عليه
من الزينة الفاخرة .. وهذا يعيشُ طول
حياته في هذا الثوب المرقّع البسيط لا عن

عجز أو بخل ، فقد فَتحت الدنيا خزائنها
له في المشرق والمغرب ، وأن رجاله
لَيلْبَسُون خيراً منه . ولكنه آثر أن
يعيش كأنه حاجّ طول حياته خضوعاً
لله عز وجل .

المشهد العاشر

في المسجد الأقصى

(يُرى عمر عقب صلاتـــه بأصحابه وهو ينفض الغبار الذي علق به من الأرض و كذلك يفعل أصحابه) .

عمر : (في تلاوة خاشعة) سبحانَ الله الذي أسْرَى بعبدِه ليلاً من المسجدِ الحرامِ إلى المسجدِ الأقصَى الذي بارَكْنَا حولَه لنُرِيه من آياتنا إنه هو السميع البصير .

الجميع : (يتمتمون) صدق الله العظيم .

عمر : خبرني يا عبدالله بن سَلَام هل أصبْنا المسجد

الأقصى في صلاتنا الساعة ؟

ابن سلام : أجل يا أمير المؤمنين .. هـذا الموضعُ الذي صلينا فيه الساعـــة من المسجد الأقصى لا ريب ..

عمر : الحمد لله على ما أنعم حمداً كثيراً إذ صليـنا حيث صلى محمد ﷺ بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام ليلة أُسرِي به .

رومانوس : أتنوي يا أمير المؤمنين أن تتخذ لنا مسجداً في إيلياء ؟

عمر : نعم .

رومانوس : فهلا اتخذتَهُ هنا في هذا المكان المقدس؟

عمر : إي والله يا أبا الروم لقد هداك الله إلى صوابٍ .

كعب : لكني يا أمير المؤمنين لا أشيرُ عليك بذلك .

عمر : لمَ يا كعب ؟

كعب : أخشى أن يعترضَ اليهودُ والنصارى أو ينازعونَا فيه .

عمر : ويلك إنّا لم نظلم أحداً من أهل إيلياء .. فقد تركنا لهم معابدَهُم وكنائسَهُم وصلبانهم . أما هذا المكان فقد تركوه مهجوراً فنحن أولى به منهم .

كعب : أليس أفضلُ من ذلك يا أمير المؤمنين أن نبنيَ مسجِدَنا في بقعة جديدة فيكونَ للمسلمين خاصةً لا ينازعهم فيه أحد ؟

عمر : ماذا ترى يا أبا الروم ؟

رومانوس : أَمَا إن رأي كعبٍ لعجيب يا أمير المؤمنين.. يخشى أن يترك النصارى كنائِسَهم ويزاحمُونا على هذا المسجد ؟

كعب : إن لم يزاحمنا النصارى فقد يزاحمُنا اليهود .

رومانوس : أنسيت يا كعب كتاب الصلح الذي بيننا وبين أهل إيلياء ؟

كعب : ما بالُه ؟

رومانوس : ليس لنا بمقتضاهُ أن نعطيَ اليهود حقاً في إيلياء غير حق الزيارة والحج .

كعب : فهذا من حق الزيارة والحج .

رومانوس : كلا لقد أهمله اليهودُ منذ هدَمَهُ عبدة الأوثان من الرومان وبنوا على أنقاضه معبداً لآلهتهم جوبيتر ونصبوا فيه تماثيل ملوكهم . ثم جاء النصارى فهدَمُوا ذلك المعبدَ الوثنيّ فأصبح هذا المكان المقدس مهجوراً من اليهود والنصارى على السواء من يومئذ .

ابن سلام : لقد صدق أبو الروم يا أمير المؤمنين .

عمر : أحسنت يا أبا الروم أحسنَ الله إليك .. والله لكأنما ادخر الله لنا هذا المكانَ المقدسَ لِنَعْمُرَهُ مسجداً .. ونحن ورثة الأنبياء ، إنّ أوْلَى الناسِ بإبراهيمَ لَلّذين اتبعوهُ وهذا النبي والذين آمنوا والله وليُّ المؤمنين .

رومانوس : ولعلّ الله ما أسرى بنبيّنَا إلى هذا المكان وسماه المسجد الأقصى في كتابه العزيز إلا

لما قضى في سابق علمه أن المسلمين سيفتحون هذه الديار ويقيمون هـذا المسجد نوراً على نور .

عمر : ما أحسن ما قلت يا أبا الروم والله لقد شرحت صدري وزدتني يقيناً .

رومانوس : شرح الله صدرَك يا أمير المؤمنين ووفقك لما يحب ويرضى .

عمر : فأشيروا عليَّ الآن أين تَرَوْنَ نجعل القبلة ؟

كعب : عندي بذلك علم يا أمير المؤمنين .

عمر : فقل يا كعب .

كعب : اجعلها خلفَ الصخرةِ لتكون القُدس كلها بين يديْ المصلِّي.

عمر : ضاهيْتَ اليهودية يا كعب .. إنا لم نؤمر بالصخرة ولكنا أُمرنا بالكعبة .

كعب : يا أمير المؤمنين إنما أردت أن نُوَلِّيَ وجوهَنا شطرَ الكعبة من خلف الصخرة فنجمع

القبلتين قبلةَ موسى وقبلة محمد عليهما السلام فهل في ذلك بأسٌ ؟

عمر : لا بأس إن شاء الله يا أبا إسحاق ما ولَّيْنا وجوهنا شطر المسجد الحرام .

ابن سلام : على رسلك يا أمير المؤمنين .. هل تبغي أن تُخرج محرابَ داود ومعبدَ سليمان من المسجد؟

عمر : اللهمّ لا .

ابن سلام : إذن فلا تجعلْ قِبْلته خلف الصخرة .

رومانوس : لقد صدق عبدالله بن سلام يا أمير المؤمنين .

عمر : كيف يا أبا الحارث ؟

ابن سلام : الصخرةُ كما ترى هناك في الجانب الشمالي ، والكعبةُ إلى الجنوب ، فلو جعلنا القبلة خلف الصخرة لخَرُج هذا المكانُ كله من المسجد .

عمر : ويحك يا كعب هل غاب عنك موضعُ الصخرة من الكعبة؟

كعب : (يتغير وجهه قليلاً) لا يا أمير المؤمنين ما فاتني ذلك، ولكن في وسعك أن تُدْخِلَ هذا المكان في المسجد وتجعلَ قبلته خلف الصخرة مع ذلك.

عمر : كلا يا كعب .. بل نجعل قبلته صدْرَه كما جعل رسول الله ﷺ قبلة مساجدنا صدورها.

كعب : ما كنت أعلم ذلك يا أمير المؤمنين وما أردت إلا الخير .

عمر : إنما الأعمال بالنيات يا كعب وإنما لكل امرىء ما نَوى.

كعب : فابْنِه يا أمير المؤمنين كما رأيت وتوكّل على الله .

عمر : (ينظر جهة الشمال) إذن فذلك موضع الصخرة؟

ابن سلام : أجل يا أمير المؤمنين .

عمر : أهكذا هي منذ كانت ؟

ابن سلام : لا يا أمير المؤمنين ما كانت هكذا .. وما ترا كَمَتْ عليها هذه الأتربةُ إلا منذ اتخذها الروم كُناسة لهم .

عمر : قاتلهم الله ألم يجدوا إلا هذه البُقْعة المقدسة ؟

رومانوس : أرأيت يا أمير المؤمنين كيف أُهمِل هذا المكان المقدس من قِبَل اليهود والنصارى على السواء؟

عمر : حق علينا معشر المسلمين قبل أن نقيم مسجدنا أن نرفَعَ هذه الكناسة ونطهر منها الصخرة.. هلم أيها الناس نرفع اليوم منها ما تيَسّر . يشمّر عن ساعديه ويتوجه نحو الشمال ومن خلفه الناس .

كعب : (يصيح بأعلى صوته) الله أكبر ! الله أكبر !.

عمر : ما هذا يا كعب ؟ ما حملَكَ على التكبير ؟

كعب : يا أمير المؤمنين قد تَنَبّأَ على ما صنعت نبي منذ خمسمائة سنة .

عمر : يا أبا الحارث هل لديك بذلك علمٌ ؟

ابن سلام : لا يا أمير المؤمنين ما عندي بذلك علم .

عمر : أَلَا تكُفُّ يا كعب عن أضاليلك وأباطيلِك ؟

كعب : يا أمير المؤمنين إن ما قُلته لَحَق .

عمر : اذهب إليك .. لقد ضاهَيْتَ اليهودية وقد رأيتُك وخلْعَك نعليْك .

كعب : إنما أحببت أن أباشرَ الأرض بقدميّ .

عمر : قد رأيتك .. والله لئن عدت إلى مثلها لا وجِعَنَّك .

هلم أيها الناس إلى الصخرة ..

(يتوجه نحو الشمال وخلفه الناس) ..

المشهد الحادي عشر

في المسجد الأقصى بعد ما بناه عمرُ على هيئة مسجد النبي بالمدينة .

يُرى عمر واقفاً في صحْن المسجد وعنده معاذ بن جبل ورومانوس كأنهم يتفقدون المسجد عقب ان تَمّ بناؤه .

عمر : انظروا إلى الصخرة : كيف بدتْ نظيفة مما علَق بها من الأذى والتراب .

معاذ : الحمد لله إذ تم هذا على يدِكَ .

عمر : الحمد لله إذْ اشترك المسلمون جميعاً في ذلك ..

رومانوس : لكن المسجدَ يا أمير المؤمنين لا ينبغي أن يبقَى على هيئَتِه هذه .

عمر : في مَلْكِ المسلمين غداً أن يُوَسِّعُوه إذا احتاجوا إلى ذلك كما وَسَّعَ رسول الله صلى الله عليه وسلم مسجدَه .

رومانوس : بل أعني يا أمير المؤمنين أن يُبْنَى بناء فخماً سامِقَ الأركان ذا عُقود وقباب .

عمر : كأنك تريده على هيئة الكنائس التي رأيناها بهذه المدينة ؟

رومانوس : أجل يا أمير المؤمنين .. فإنه أخلقُ بيوت الله بالتفخيم والتجميل ..

عمر : ما كنت لتقول هذا يا أبا الروم لو رأيتَ مسجدَ رسول الله بالمدينة . إن الله تبارك وتعالى يقول : اَجَعَلْتُم سِقَايَةَ الحاجّ وعِمَارةَ المسجد الحرام كَمَنْ آمَن بالله واليوم الآخِر وجاهَدَ في سبيلِ اللهِ لا يستوون عند الله واللهُ لا يَهْدِي القومَ الظالمين .

رومانوس : إن مسجداً بالمدينة يا أمير المؤمنين ليس كمسجد بالشام ، ولعل الله أن يجعَلَ في

المسجد الجميل الفخم ما يعطِفُ قلوب كثير من أهل الشام إلى الإسلام .

عمر : ويحك يا أبا الروم إن بيتَ الله لا ينبغي أن يكونَ فيه نقوشٌ وتصاويرُ تشغَل المصلين عن ذكر ربهم والإخباتِ له ..

رومانوس : من غير نقوشٍ يا أمير المؤمنين ولا تصاويرَ ولا تهاويلَ .. ولكن عِمَارةً بديعةُ التكوين ثابتةُ الأركان تُنْبِئُ عن عظَمَةِ الإسلام وقوته .

عمر : ما ترى في ذلك يا مُعاذ بن جبل ؟

معاذ : ما أرى بذلك من بأسٍ يا أميرَ المؤمنين .. إن الله عز وجل يقولُ : يا بني آدم خُذُوا زينَتَكم عند كل مسجد .

عمر : هذا المسجدُ يكفينا اليوم يا أبا الروم ، وغداً يُجَدَّدُ بناؤه إن شاء الله كما تحب .

معاذ : هذا أبو عبيدة قد أقبل يا أمير المؤمنين .

عمر : مرحباً بأمين هذه الأمة .

أبو عبيدة : (يظهر) السلام عليكم ..

عمر : وعليكم السلام ورحمة الله .. هلم يا أبا عبيدة فإني أريدُ أن أحادثك على حدةٍ .

معاذ : مكانك يا أمير المؤمنين .. هـلم يا أبا الروم نتدارس عند الصخرة .

(يخرج هو ورومانوس)

أبو عبيدة : إن أبا الروم لحريصٌ على القرآن والفقه .

عمر : وإنه لحكيم .

أبو عبيدة : وقد وجد في مُعاذ بن جبل بُغْيَتَه فهـو يلازمه ويثافنه .

عمر : دعني من أبي الروم الآن وخبّرني ما خطبك.

أبو عبيدة : ما خطبي فيماذا ؟

عمر : فيما رأيتُ من رَحْلِك أمس . لقد والله شجاني وهمني حتى منع عينيَّ الغَمْضَ البارحة .

أبو عبيدة : ماذا أصنع لك يا أمير المؤمنين ؟ طَفِقْتَ

تقول اِسْتَرِنْي اِسْتَرِنْي يا أبا عبيدة كما فعل سائرُ أمراء الأجناد فقلت لك إني أخافُ أن أَسْتَريَك فتَعصِرَ عينيك في رحلي، فأبيْتَ إلا ما انتَوَيْتَ فرأيتَ ما رأيتَ ..

عمر : ولا كل هذا يا أبا عبيدة .. ليس في رَحْلك شيء .. أين متاعُـك ، لم أجدْ غيرَ لِبْدٍ وصحْفَة وشَنٍّ .

أبو عبيدة : أعاتِبٌ أنت عليّ ؟. فانا أَوْلَى بأن أعتِبَ عليك .

عمر : فيمَ يا أبا عبيدة ؟

أبو عبيدة : ما كان لك أن تُفسِدَ بنتَ جابر عليَّ فإنك تعرِفُ طِباعَ النساء .

عمر : لكني لم أُقلْ شيئاً أمامَ أهلِك .

أبو عبيدة : أدركَتْهي من نظراتك أنك استَقْلَلْتَ ما عندنا ، وقد كنتُ أقولُ لهـا دائماً يا هندُ يا بنت جابر إن أمير المؤمنين عمر ليس

عنده هذا الذي عندنا فترْضى وتسْكُت .

عمر : أنت يا أبا عبيدة أميرٌ في الشام ولا بأسَ أن تجعَلَ في بيتك من المتاعِ ما يُصلحك ويصلحُ أهلَك .

أبو عبيدة : يا أمير المؤمنين ما عدا مما بدا ؟ يا أمير المؤمنين يكفيك ما بلّغك المقيل .

عمر : (يترقرق الدمع في عينيه) غَيَّرْتنا الدنيا كلنا غيْرَكَ يا أبا عبيدة .

أبو عبيدة : هذا عمرو بن العاص يا أمير المؤمنين قد أقبل .

عمر : ما بَكَر عمرو إلا لأمر .

عمرو : (يظهر) السلام عليك يا أمير المؤمنين .

عمر : وعليك السلام يا عمرو .

عمرو : أيّ شيء أبكاك يا أمير المؤمنين ؟

عمر : أبو عبيدة أبكاني يا عمرو .

أبو عبيدة : أجل يا عمرو ذكّرته ما أنعَمَ اللهُ على

المسلمين إذ جعلَ هذا المسجدَ الأقصى لهم ففاضَتْ عيناه .

عمرو : أجل قد أتم اللهُ للمسلمين فتحَ الشام كله من شماله إلى جنوبه ، فلو أذِنَ أميرُ المؤمنين أن نُؤَيّد فتحَ الشام بفتحِ مصر .

عمر : ألم أقل لك يا أبا عبيدة ؟ ما بكر عمرو إلا لأمر .

عمرو : ائْذَنْ لي يا أمير المؤمنين فلن تندمَ إن شاء اللهُ ، ولعل أبا عبيدة يُؤَيّدُني إذا بيَّنْتُ له رأيي كما بيّنته لك .

أبو عبيدة : قد بيّن لي أميرُ المؤمنين رأيَك يا أبا عبدالله .

عمرو : فماذا تَرَى ؟ يا أبا عبيدة ؟

عمر : قد رأى معي ألا نَنْظُر في فتح مصرَ ألبتّة إلا بعد فتحِ قيسارية .

عمرو : يا أمير المؤمنين إن مصرَ تمد قيسارية من البحر فإذا فتحنا مصر انقطع عن قيسارية

المدد .

عمر : والقسطنطينية تمدّها أيضاً من البحر أفنفتحُها أيضاً يا عمرو ؟

عمرو : القسطنطينية بعيد يا أمير المؤمنين وليست أمماً كمصر .

عمر : أمِنْ أجل أن تتعقّب صاحبَك الأطربون لا تُبالي أن تُلقِي بالمسلمين إلى الهلَكة ؟

عمرو : كلا يا أمير المؤمنين إني إنما أريدُ أن أدفعَ عنهم الهلكة .

عمر : امهلني يا ابن العاص حتى أرجعَ إلى المدينة فانظُر في هذا الأمر .

عمرو : وتكتُب إليّ برأيك ؟

عمر : إن شاء الله.

(يتوافدُ المسلمون إلى المسجد وفي مقدّمتهم خالدُ بن الوليد و يزيد بن أبي سفيان وشرحبيل ابن حسنة وعبد الرحمن بن عوف وبلال بن

رباح فيسلمون على عمر ثم يُجِيلون أبصارَهم في أرجَاء المسجد وهم مستبشرون)

ابن عوف : (يتقدم من بين الصفوف) يا أمير المؤمنين.. هذه نِعْمةٌ مهما تشكرْ الله عليها لا تَفِ بحقّ شكرها .. لقد أُسْرِي بمحمد صلى الله عليه وسلم إلى هذا المسجد فصلّى فيه إماماً لإبراهيم وموسى وعيسى في نفر من الأنبياء عليهم السلام ، ثم لم يُتَحْ له المجيءُ إليه فيما عدا المُعْجِزة حتى مات ؛ وجاء أبو بكر فلم يكن من حَظّه أن يصليَ فيه وقد أُوتِيتَ أنتَ هذا الحظ فصليْتَ فيه بالمسلمين وجعلتَه مسجداً لهم إلى يوم القيامة .

عمر : الحمد لله على ما أنعَمَ فهو الذي وفّق وهَدَى ويسّر وأعان . أيها الناس ألَا إني راجعٌ إلى المدينة وقد قَضَيْتُ الذي عليَّ في الذي ولّاني اللهُ من أمركم . قَسَطْنا بينكم فيئَكم ومنازلكم ومغازيكم ، وسمّينا لكم امراءكم

وأمرْنا لكم بأُعْطِياتكم وأرزاقكم فمن علِمَ علم شيء ينبغي العملُ به فبلِّغنا نعملْ به إن شاء الله.

بلال : يا أمير المؤمنين هؤلاء أمراء الأجناد بين يدَيْك وعن يمينِك وعن شمالك، وإنك بين هؤُلاء وبين الله وليس بينك وبين الله أحدٌ.

عمر : هل تشكو منهم شيئاً يا بلال؟

بلال : نعم يا أمير المؤمنين ليس في ذاتِ نفسي ولكن في سبيل عامّة المسلمين.

عمر : فافصِح يا بلال يرحمك الله.

بلال : إن هؤُلاء إنْ يأكلون إلا لحومَ الطير والخبز النقي، ولا يَعْنِيهم ان يجدَ عامةُ المسلمين ما يقوتُهم ويقوتُ عيالَهم أو لا يجدُوه.

عمر : يا أمراء الأجناد ماذا يقولُ بلالُ؟ أحقاً تأكلون لحومَ الطير والخبز النّقيّ؟

يزيد : أنا أجيبُك يا أمير المؤمنين.. إن الله قد

أحلّ لنا لحوم الطير كما أحلّ لنا الخبزَ النقي، وإن هذا ليس ببِدْع في الشام، ولا هو غالي الثمن، فإنّا لَنُصِيبُه بمثل ما كنا نقوتُ به عيالاتِنا في الحجاز. وأما عامة المسلمين فإننا نصرفُ لهم أرزاقَهم وأعطياتهم في مواعيدها.

بلال : يا أمير المؤمنين إن الأعطياتِ والأرزاق لتصْرَف لهم ولكنهم قَلّما يجدون بها كفايَتهم مما يحتاجون إليه من القُوت.

عمر : كيف؟ إن لم تَكْفِهم أُعطياتِهم وأرزاقهم نظرْنا في زيادَتِها.

بلال : ليس ذلك ما يشْكُون يا أمير المؤمنين ولكنهم قلّما يجدون في السوق ما يريدون شراءه من الطعام واللحم.

عمر : عجباً أيقلُّ الطعامُ في الشام؟

عمرو : أنا أجيبُك يا أمير المؤمنين. ان الروم قد منعُوا ورُودَ الطعام إلى الشام من البرّ ومن

البحْر . يريدون بذلك إحْراجَنا وإحراجَ أهل الشام .

عمر : ويحك يا عمرو لقد أسررت حسواً في ارتغاء.

عمرو : إن كنتَ في شك من ذلك يا أمير المؤمنين فَسَلْ رومانوس يُجبْك ..

رومانوس : لقد صدق عمرُو يا أمير المؤمنين ولكنهم لن ينالُوا منا شيئاً بإذْن الله وليزيدُنَّ أهلَ الشام بعملهم هذا بُغْضاً لهم وعداوَةً .

عمر : أشيروا عليّ الآن كيف نرفعُ عن عامة المسلمين هذا العَنَتَ ؟

بلال : ألزِمْ أمراء الأجناد أن يضمَنُوا أرزاقَ المسلمين كل شهر وليستقطِعُوا ذلك إن شاءوا من أعطياتهم .

عمر : أجل والله لا أدع عُيالاتِ المسلمين تجوعُ في هذه البلاد أبداً وأنا عنهم مسئولٌ .. أيها الأمراء لا أبرحُ هذا المكانَ المقدسَ حتى

تضمنوا لي ذلك على أنفسكم .

شرحبيل : كم تضمَن لكل رجل يا أمير المؤمنين ؟

عمر : عليك يا مُعاذُ بن جبل أن تحسِبَ ذلك مع الذين يعلمون هذا الأمرَ حتى تعرفَ كَمْ يكفي الرجلَ من الحنْطة والزيْت والخل في اليوم ثم في الشهر ، فقدِّم ذلك إلى أمراء الأجناد ليضمَنُوه للمسلمين .

معاذ : حباً وكرامة يا أمير المؤمنين .

بلال : وللمَوالي كذلك يا أمير المؤمنين ..

عمر : وللموالي كذلك .. أليسُوا أخوتهم ؟ أليسوا يأكلُون ويشربون مثلهم . بحسْب المرء من الشر أن يحقِرَ أخاه .

بلال : اشهدوا أيها الناس على ذلك ..

عمر : يا معشرَ المسلمين هذا لكم سوى اعطياتكم ، تنفِقُون منها على عِيالاتكم فيما وراء ذلك ..

فما وَفّى لكم أمراؤكم بهذا فذلك ما أحبُّ..
وإن هم لم يفعلوا فأعلِمُوني حتى أعزلَهم وأولّيَ أمرَكم غيرَهم.

أبو عبيدة : يا أمير المؤمنين قد حضَرَتْ الصلاة ..

عمر : الله أكبر .. هـا نحن أولاء الآن في المسجد الأقصى الذي بارك اللهُ حولَه لنُقيمَ الصلاة فيه ، وهذا بلالٌ بيننا أفلا يؤذّنُ لنا اليوم فنتذكرَ أيامَ رسول الله ﷺ !

الجميع : أجل .. أذّن لنـا يا بلال .. أسمِعْنا أذانَ رسول الله يا بلال.

بلال : يا أمير المؤمنين قد علِمْتَ أني أخذْتُ على نفسي ألا أؤذّنَ لأحد بعد رسول الله ﷺ أبداً .

عمر : اليوم فحسْب يا ابن رَبَاح..لوددنا أن لو كان رسولُ الله ﷺ معنا فصلّى بنا اليوم كما صلّى بالأنبياء من قبل،فلا أقلَّ من أن نسمعَ مَنْ كان

يؤذّنُ لرسول الله يؤذّنُ لنا اليوم في هـذا المكان المقدس.

الجميع : أذّن يا بلال .. أسمعنا أذانَك .. ذكرْنا أيام رسول الله ﷺ .

رومانوس : إنَّ منا من لم يشهَدْ النبيَّ فاجعلنا يا بلال كأننا شَهِدْناه .

بلال : اليوم فحسْب يا أمير المؤمنين وفي هذه الصلاة وحْدَها ؟

عمر : اليوم فحسب يا بلال وفي هذه الصلاة وحدها.

بلال : (يقربون له منصة عالية فيرقاها فيؤذن بصوته الجَهْوَري العَذْب)

الله أكبر .. الله أكبر.. الله أكبر.. الله أكبر
(يبكي الناس) أشهد ألا إله إلا الله .. أشهد ألا إله إلا الله ..

أشهد أن محمداً رسول الله (يتعالى بكاء الناس)
أشهد أن محمداً رسول الله ..حي على الصلاة..

حي على الصلاة .. حي على الفلاح.. حي على الفلاح .. الله أكبر .. الله أكبر .. لا إله إلا الله ..

(ستار)